

الإجابة النموذجية
الشعر الأموي – الفرقة الثانية
د/ عبد المنعم أبو زيد

أ- النقائض :

النقائض جمع نقيضه ، وهي في معجمات اللغة، مأخوذة من النقض في البناء ، وهو الهدم ، وفي الحبل ، بمعنى حلة ، وفي العهد ، بمعنى عدم إبرامه ، وقيل النقض : ضد الإبرام ، ويكون في البناء والحبل والعهد ، قالوا : والمناقضة في القول : أن يتكلم بما يتناقض معناه ، أي يتخالف ، ونناقضه في الشيء مناقضة ونقاضا:خالفه (١)

والنقيضة في باب الشعر : بمعناها الذي استقرت عليه ، وانتهت إليه ، تعني أن يقول شاعر قصيدة يهجو فيها شاعرا آخر ، طاعنا فيه وفي قومه ، ويفخر فيها بنفسه وبقومه ، فيجيبه الشاعر الآخر بقصيدة ، ناقضا ما جاء به الأول – أو كثيرا مما جاء به - من معان وصور ، مضيفا إليها من جانبه مزيدا من الفخر والهجاء ، كل ذلك بقصد أن يفسد على الأول معانيه ، فيردها عليه ، إن كانت هجاء ، ويزيد عليها مما يعرفه أو يخترعه ، وإن كانت فخرا كذبه فيها ، أو فسررها لصالحه هو ، أو وضع إزاءها مفاخرا لنفسه وقومه . (٢)

وقد يتجاوز الشاعر الآخر الرد على أقوال الأول معني معني ،إلي الهجاء العام، والفخر العام ، فيقوم النقض حينئذ على أساس المقابلة بين هجاء ، وفخر وفخر . وفي كل حال لا تكتسب قصيدة الشاعر الآخر اسم النقيضة إلا إذا التزم في رده بالموضع الذي عالجه الشاعر الأول، وبالوزن الذي اختاره ، وبالقفية التي بني عليها قصيدته ، وحينئذ تسمى قصيدته نقيضة بمعني ،ناقضة ، وتسمى قصيدة الأول نقيضة ، بمعني منقوضة ،أي أن الأولي- في ترتيب القول- فعيلة بمعني مفعولة ، والأخري فعيلة ، فمعني فاعلة . (٣)

وهنا نلاحظ اختلاف الموقف الإبداعي بين الشاعرين ، من حيث حرية اختيار الموضوع والوزن والقافية والمعاني ، والاحتشاد الانفعالي ، إذ يتوفر هذا كله للشاعر الأول، بينما يجد الشاعر الآخر نفسه مضطرا إلي تقييد مواهبه بحدود الموضوع الذي فرض عليه ،وقدراته الفنية واللغوية ، وبحدود الوزن والقافية ، اللذين عليه الالتزام بهما، ولهذا كثيرا ما نجد الأول أطول نفسا ، وأجود معني وأقوى أسلوبا ،؟ بحكم ما حظى به من حرية الاختيار ،وما أكره عليه الآخر من قيود ، جعلته أمام أمر واقع ، عليه أن يخوضه مكرها أو محرجا، ومن ثم يقصر عن صاحبه. (٤)

è î ïé# fl k

èfl

è è ì é ñ ï î

èfl

è î è

èfl

è î ñ

èfl

ونخلص من تحديد معنى النقيضة الشعرية وما يتصل بهذا المعنى إلى أن الأصول الفنية التي يقوم عليها فن النقائض الشعري أربعة :

١- نقض المعاني وهو مناط النقائض ، ومحورها الذي عليه تدور والأصل العام الذي يقوم عليه نقض المعاني هو أن يعني الشاعر الآخر بإفساد ما يقرره الشاعر الأول ، فيكذب ما يدعي أو يضع إزاءه ما يقابله ، أو يقلل من شأنه وأهميته وهذا الأصل جامع لطرق المناقضة التي اعتمدها شعراء المناقضة وهي المخالفة في التفسير ، كأن يتناول الشاعران حادثا أو موقفا واحدا كل يفسره بما يؤيد موقفه في الفخر أو الهجاء .^(١)

فجرير يفخر بقيس عيلان ، ويراهما جديرة بالثناء ، فعليها المعول في النصر ، والدفاع عن الحوزة ، والحفاظ على الأمجاد ، كما يفخر بقومه بني يربوع ، ويراهم حماة تميم، في قوله :

وإني من القوم الذين تعدهم
تميم حماة المازق المتلاحم

وقوله :

وقيس هم الفضل الذي نستعده
لفضل المساعي وابتناء المكارم

إذا حدبت قيس على وخندف
بنوالي عاديا رفيع الدعائم

وقيس هم الكهف الذي نستعده
لدفع الأعادي أو لحمل العظام^(٢)

فيتصدى له الفرزدق مفسرا موقفه من قيس بأنه موقف الدعي المرتزق ، الذي ينتكر لقومه ، في سبيل نهزة يصيبها ، أو كسب تافه يلقي إليه به، فيفقد بذلك انتماءه لقومه ، ولا يلحق انتماء بالآخرين .

فما أنت من قيس فتنبح دونها
ولا من تميم في الرعوس الأعظم^(٣)

٢- وحدة الموضوع :فعلي الشاعر الناقض أن يعالج في نقيضته الموضوع نفسه ، الذي عالج خصمه ، بحيث يتفقان ، فخرا ، أو هجاء ، أو هما معا، أو سياسة أو نسيباً، أو رثاء ؛ إذ كان الموضوع هو مجال المناقشة، ومادة النقائض .

٣- وحدة الوزن الموسيقي (البحر العروضي) ؛ إذ هو الشكل الموسيقي، الذي يجمع بين النقيضين ، ويجذب إليه الشاعر الناقض ، يعد أن يختاره الشاعر الأول، ثم هو إطار فني، ومظهر من مظاهر القدرة الشعرية ، على الشاعر الناقض ، أن يقبل المنافسة فيه أيضا ،والناقض الفحل هو الذي يبدع من خلال هذا الإطار ، ويتفوق على صاحبه ، على الرغم من أن الشكل الموسيقي مفروض عليه، ليس مختارا فيه .

٤- وحدة القافية : باعتبارها من اللوازم الموسيقية المتكررة التي ارتضاها الشاعر الأول ، واختارها نغمة موسيقية تظهر جانبا من براعته ، وقدرته الفنية ،

..èî èél

í î ë#í íél

..è é î è é#èél

فدخلت بذلك مجال المنافسة بين الشعارين ، كتتمة للتنسيق الوزني ، وجزء من النظام الموسيقي العام للمناقضة .^(١)

بداية النقائض وتطورها

والنقائض في صورتها البسيطة ليست جديدة على الشعر العربي ، لأننا نري في شعر العصر الجاهلي نماذج مصغرة لها ، تتمثل فيما كان ينشده بعض الشعراء ردا على خصومهم ، وخاصة حين كان القتال يستعر بين القبائل ، فيكون الصراع الكلامي مواكبا للصراع القتالي ولسانا له . وطورا كان هذا الصراع الكلامي ينفلت من قيود الالتزام بأن تكون القصيدة الناقضة من نفس وزن وروي القصيدة المنقوضة ، قانعا المعاني والصور الشعرية ، كما في معلقتي عمرو بن كلثوم والحارث بن حلزة ، وطورا آخر كان الشاعر المجيب يضيف إلي نفس هذه المعاني والصور نقض الإيقاعات التي صاغ عليه الشاعر البادئ قصيدته . إليك ما يقوله قيس بن الخطيم الأوسي في تلك المعارك الحامية التي دارت بين الأوس والخزرج قبل أن يؤلف الإسلام بين قلوبهم :

دعوت بني عوف لحقن دمائهم فلما أبوا سامحت في حرب حاطب
وكنت أمراً لا أبعث الحرب ظالما فلما أبوا أشملتها كل جانب

ومعني ذلك أن الصورة الأولى للنقائض تمتد بجذورها إلي شعر العصر الجاهلي ، وإن كانت هذه الصورة - كما قدمنا - بسيطة عفوية ، شأن جمهرة الشعر الجاهلي ، كما كانت تفتقرن باحتدام الصراع القتالي وتواكبه ، حتي إذا ركدت ريحه ركدت هذه النقائض بركودها ، ومن ثم لم تكن في الأعم الأغلب تحمل خاصية الديمومة والاستمرار .^(٢)

ومن ثم نستطيع أن نقف على الملامح الفنية لمرحلة نشأة النقائض الشعرية وتطورها في العصر الجاهلي.

١- قامت أولا على نقض المعاني ، دون وحدة الوزن والقافية ، ثم تطورت فقامت على الاتحاد الموضوعي والمعنوي والموسيقي ، فتمت بذلك قواعدها المعروفة .

٢- أهم فنونها الفخر والهجاء ، ومادتها تدور حول مقومات الحياة الجاهلية ، كالأيام ، والأنساب ، والأحساب ، والاعتراف بالظلم والعدوان ، والفضائل الاجتماعية ، التي أقرتها هذه الحياة ، كالفخر بالكرم ، والشجاعة ، والنجدة ، وكثرة العدد ، والسيادة ، والمروءة ، والهجاء بصد ذلك ، كل ذلك في إطار العصبية القبلية ، وفي سبيل القبيلة ؛ ولذا لم تختلف فنيا عن غيرها من الشعر القبلي ، إلا من حيث أخذها بالأصول المقررة لفن المناقضات .

٣- بعدها عن الإسفاف والفحش ، وتناول الأعراض في الهجاء ، فهي تقف غالبا ، عند صفات الجبن ، والبخل ، والفرار ، وتعف عن ذكر العورات ، والكلمات النابية المكشوفة .

٤- لم يشغل الجاهليون كثيرا بهذا اللون من الشكل الشعري ، ولم يلتزموه في منازعاتهم الشعرية القبلية ، بل كانوا يقبلون عليه من حين إلى آخر ، وفي الفترة بعد الفترة ، فلم يكن التباعد بين القبائل والشعراء ليتيح الفرصة لانتظام هذا الفن بين شعرائهم (١) .

وفي مطلع الإسلام يتقدم بنا فن النقض خطوة أخرى عما كان عليه في العصر الجاهلي ، وصحيح أن طابع التلقائية والبساطة ما زال يوجد هنا كما وجد من قبل ، ولكن الجديد في تلك الملاحظة الشعرية التي دارت بين شعراء المسلمين وشعراء المشركين في عهد الرسول ﷺ أنها كانت تتم لا في ظل الإحساس بواجب القبيلة فحسب ، بل في ضوء الشعور الديني وفي وهجه ، ثم وفرة نماذجها واستمرارها النسبي باستمرار الغزوات والمعارك التي دارت بين الفريقين ، وهي معارك لم تفتقر ولم تنقطع حتى استتب أمر الإسلام (٢) .

ثم إن هذه الصورة من النقائض في مطلع الإسلام تختلف عن سابقتها الجاهلية في نوع الأفكار ونسيج المعاني الذي تشف عنه ، خاصة في شعر المسلمين ، ففي شعر هؤلاء يحمل الاعتزاز بالله ورسوله محل الاعتزاز التقليدي بالعرق والعشيرة ، ويحل التنديد بالضلالة والبغي محل الطعن الصريح في الأنساب والأحساب ، إليك ما يقوله ضرار بن الخطاب في يوم بدر :

عجبت لفخر الأوس والحين دائر عليهم غدا ، والدهر فيه بصائر

فيرد عليه من المسلمين كعب بن مالك :

عجبت لأمر الله والله قادر على ما أراد ، ليس لله قاهر

قضى يوم بدر أن نلاقي معشرا بغوا ، وسبيل البغي بالناس جائز

شهدنا بأن الله لا رب غيره وأن رسول الله بالحق ظاهر (٣)

وعلى الرغم من أن النقائض أيام الرسول تعد امتدادا للنقائض الجاهلية (٤) ، فإن تغيرا غير يسير قد أصابها في عهد النبوة ، على السنة شعراء المسلمين ، بخاصة من حيث الغاية والأسلوب ، وبعض المعاني والألفاظ أيضا .

ثم يأتي العصر الأموي ، فيصيب فن النقائض الشعرية حظا وافرا من التطور والازدهار والذيع ، يصل به إلى قمة النضج ، فقد وفرت له ظروف العصر السياسية والاجتماعية بيئة مهيأة لتقبله ، والإقبال عليه ، والإكثار منه - والفنون ، بعامه ، إنما تجود وتنضج وتزدهر إذا وفرت لها البيئة دواعيها ، واقتضت ظروفها وتقبلتها أذواقها ، وقد تهيأ هذا كل لفن النقائض الشعرية في العصر الأموي .

١- العجبت لفخر الأوس والحين دائر عليهم غدا ، والدهر فيه بصائر
٢- ويرد عليه من المسلمين كعب بن مالك :
عجبت لأمر الله والله قادر على ما أراد ، ليس لله قاهر
قضى يوم بدر أن نلاقي معشرا بغوا ، وسبيل البغي بالناس جائز
شهدنا بأن الله لا رب غيره وأن رسول الله بالحق ظاهر (٣)
٣- العجبت لفخر الأوس والحين دائر عليهم غدا ، والدهر فيه بصائر
٤- ويرد عليه من المسلمين كعب بن مالك :

وكان للنجاح الذي أحرزه كل من جرير والفرزدق والأخطل ، والشهرة التي نالوها ، بفضل فنهم في النقائض ، وتطلع جماهير العصر إلى المزيد من هذا الفن ، كان له أثره في محاكاة غيرهم من الشعراء لأسلوبهم الشعري القائم على المناقضة ، ففشا الصراع الأدبي ، أو المناقضة الفنية ، بين الشعراء ، على نحو لم يكن مألوفاً من قبل .

ويتركز اهتمامنا على ذلك النوع من النقائض ، الذي يلتفت الشاعر فيه – أولاً وقبل كل اعتبار آخر – إلى نفسه ، ويهتم بفنه ، وفن منافسه من الشعراء ، وقد يأتي فيه ذكر القبيلة ، بمثابة تأكيد لفخر الشاعر بنفسه ، أو للإمعان في الحط من قدر منافسه ؛ لأن هذا هو الفن الذي اشتهر في العصر الأموي ، وتعاوره كثير من شعرائه ، وكانت قمة اكتماله ونضجه على يد فحول هذا العصر . وفي مقدمتهم الثلاثة الفحول : جرير والفرزدق والأخطل.

وفي العصر الأموي – أيضاً- تحولت النقائض من غاية الهجاء الخالص إلى غاية جدية هي سر حاجة الجماعة الحديثة في البصرة إلى ضرب من ضروب الملاهي^(١)

وتدخلت في صنع النقائض بجانب هذه العوامل الاجتماعية عوامل عقلية مردها إلى نمو العقل العربي ومرانه الواسع على الحوار والجدل والمناظرة في النحل السياسية والعقيدية وفي الفقه وشئون التشريع . وعلى ضوء من ذلك كله أخذ شعراء النقائض يتناظرون في حقائق القبائل ومفاخرها ومثالبها ، وكل منهم يدرس موضوعه دراسة دقيقة ويبحث في أدلته ليوثقها وفي أدلة خصمه لينقضها دليلاً دليلاً ، وكأننا أصبحنا بإزاء مناظرات شعرية ، وهي مناظرات كانت تتخذ سوق المربد مسرحاً لها ، فالشعراء يذهبون هناك ، ويذهب إليهم الناس ويتحلقون من حولهم ، ليروا من تكون له الغلبة على زميلة أو زملائه.^(٢)

إضافة إلى كونها خاضت في مديح الخلفاء والولاة بحيث أصبحت لا تحتوى فخراً وهجاء فحسب ، بل تحتوي كذلك مديحاً كما تحتوي نسيباً وغزلاً ، والشاعر في كل هذه الموضوعات يستلهم الإسلام في معانيه ، كما يستلهم قدرة العربي الجديدة على الجدل ونقض الدليل بالدليل وقدرته – أيضاً- على التوليد في المعاني ، وبذلك كله أصبحت النقيضة عن الفرزدق وجرير عملاً فنياً معقداً^(٣)

والحق أن النقائض لم تكن تخلو في مبدأها ومسارها من عاملين جوهريين يحركا قرائح الشعراء ويدفعانهم إلى القول : عامل قبلي ، وعامل فني . فأما أولهما فقد كان الأساس الذي نهضت عليه النقائض في العصر الأموي ومن قبله في العصر الجاهلي فالشاعر في النقائض لا يتحدث عن نفسه قدر ما يتحدث عن القبيلة التي ينتمي إليها نسباً أو ولاءً ، وهو لا يعيب خصمه بنقائضه الذاتية قدر ما يطعنه في أبائه وأجداده ، ولا يركز على علاقاته الخاصة بخصمه قدر ما يركز على علاقات قبيلته بقبيلة خصمه وما كان يدور بين القبيلتين من صراع ، وما أسفر عنه

١- أ. س. ع. ، ص ١٠٠

٢- أ. س. ع. ، ص ١٠٠

٣- أ. س. ع. ، ص ١٠٠

هذا الصراع من انتصارات وهزائم ، ومن ثم كان العامل القبلي هو المحور الأساسي الذي قامت عليه النقائض ، وظل كذلك حتى بعد أن تطورت إلى صورتها النهائية في العصر الأموي .^(١)

وأما العامل الفني فكان يتنمّل في حرص كل شاعر على إبراز مهارته الفنية وبراعته في إفحام خصمه برد معانيه وصوره وقوافيه وأوزانه ، كما يتنمّل في مقدرته على السخرية من صاحبه وتحقيره بتصويره في صورة كاريكاتيرية تبالغ في تجسيم العيوب الحسية والنفسية ، فيستشير بذلك منابع التفكّه في وجدان الجماهير ويشركهم معه في الهزؤ بصاحبه والتهكم به أو بأبائه ، وهذا ما كان يفعله جرير حين يرمي خصمه الفرزدق بأنه قين وابن قين ، لمجرد أن جده صعصعة كان يمتلك قبونا كثيرين في الجاهلية ، ومن ثم يستغل جرير هذه الناحية في تاريخ صاحبه ، فيحاول تضخيمها وتكبيرها حتى تغطي على كل ما عداها ، فلا يبقى منه إلا أنه قين من صلب قين^(٢)

وأبرز فرسان النقائض في هذا العصر ذلك الثالث الذي ذاعت شهرته ليس في فن الهجاء فقط ، بل في الشعر الأموي بعامته ، ونعني به الثالث المكون من جرير والفرزدق والأخطل ، وأولهم كان قاسما مشتركا في معظم نقائض هذه الفترة ، فقد تهاجى مع الفرزدق من ناحية ، كما تهاجى مع الأخطل من ناحية أخرى ، ولكن نقائضه مع الأول أكثر ، وتاريخها أطول ، إذا امتدت مع الزمن نحو من أربعين عاما ، على حين شغلت نقائضه مع الأخطل نحو عشرين سنة ، ولعل في هذا التاريخ الطويل الذي استغرقت نقائض جرير والفرزدق ، وتلك الوفرة من النماذج التي رويت عن كليهما في هذا المضمار ، ما يقتضي منا أن نقف وقفة خاصة عند هذين الشاعرين وانتماءاتهما القبلية والسياسية^(١)

ب- جرير :

نسبه وأسرته :

ولد جرير بقرية أثيفية إحدى قرى الوشم من أرض اليمامة حوالي سنة ٣٠ للهجرة من أبوين ينتسبان إلى قبيلة كليب ، إحدى قبائل يربوع فأبوه عطية ، وجده حذيفة الملقب بالخطفي ، كان من القدماء العلماء بالنسب وأخبار العرب اشترك في يوم إراب ، وكان يقول الشعر ، واشتهر بالبخل ، وعتب عليه حفيده جرير في يائيته المشهورة . أما عطية أبو جرير : فقد عرف بقصر القامة وضعف الفؤاد واعوجاج القدمين . وكان يرمي بالشح^(٢) .

وجرير وإن لم يكن نشأ في بيت مجد فقد نشأ في بيت شعر وظل الشعر يتوارث في أبنائه ، وأشعرهم بلال . وحفيده عمارة من الشعراء المشهورين في العصر العباسي ، وعنه أخذ الرواة شعر جدّه وأكثر أخباره . ويقول ابن قتيبة كان لجرير عشرة من الولد فيهم ثمانية ذكور .

ويظهر أن موهبة جرير الشعرية تفتحت مبكرة وقد وجد في جده الخطفي خير من يلقنه الشعر ، ويقال إن من أوائل ما نظمه مما رواه له الرواة أبياتا عاتبه بها ، وذلك أنه كان ذا مال كثير ، وكان ينحل أبناءه وأحفاده من ماله ، فاستنحل جرير ، فأعطاه بعض ماله ثم رجع فيه ، وقيل بل أعطاه قليلا فاستزاده فلم يزد ، فتسخطه ، ونظم فيه طائفة من الأبيات يعاتبه بها ، وقد وصلها بعد ذلك بسنوات بأبيات نظمها في الفرزدق وغسان السليطي . وفيها يقول معاتبا جده :

وإني لمغرور أعلل بالمني ليالي أرجو أن مالك ماليا

وإني لعف الفقر مشترك الغنى سريع- إذا لم أرض داري- انتقاليا

ويقال إنه وفد بعد ذلك إلى يزيد بن معاوية وهو خليفة ، فأنشده هذه الأبيات ، فقال له : كذبت إنها لجرير ، فقال له : أنا جرير . ومن قوله فيها :

١

٢

وليست لسيفي في العظام بقية وللسيف أشوى وقعة من لسانيا^(١)
آثاره :

لجرير ديوان مطبوع ، قام بطبعه محمد إسماعيل عبد الله الصاوي وهو في
مجلد واحد : لا يتجاوز ال ٦٠٦ صفحات إن استثنينا المقدمة والصفحة الأخيرة
التي كتب فيها : وهذا آخر ما أردنا جمعه مما صحت نسبته لنادرة الشعراء ،
وباقعة عصره في الهجاء ، جرير بن عطية بن الخطفي . والذي يقلب صفحات
الديوان يلاحظ أن الشاعر قد نظم في كل من :
(١) المديح (٢) الفخر (٣) النسب والوصف (٤) العتاب والشكوى (٥) المراثي (٦)
الهجاء .

ولقد بلغت قصائده ومقطوعاته التي قالها في المديح ٧٣ ، وكان مجموع ما قال
في النسيب والوصف ٩ ، ومجموع ما قاله في العتاب والشكوى ١٤ ، وفي المراثي
٢٢ ، وفي الهجاء ٢٢٣ ، وفي الفخر ١٣ ، فيكون مجموع ما ضمنه ديوانه هو
٣٥٤ ، قصيدة ومقطوعة .

فن المدح عند جرير

مدح جرير أهله وقبيلته ، والخلفاء والأمراء والولاة ، إما تقربا ، وإما تكسبا
لتغيير أوضاعه الاجتماعية نحو الأفضل . فبداية مدح أهله وقبيلته كليب حيث
ينسب إليها ، ومن ثم فهم رهطة الأقربون وموضع عزه وفخره ، كانت منازل
هؤلاء بالبادية ، بقرية حجر من قرى اليمامة ، بالجنوب الشرقي من نجد ، التي
تعرف الآن بالرياض . وقد أطنب جرير في مدح بني كليب ، كما أشاد بالمثل ببني
رباح بن يربوع ، وبيربوع ، وبتميم بن مر ، وبقيس عيلان ؛ فكان مما قاله عن
هؤلاء :

ألم تسمع بخيل بني رباح	إذا ركبت وخيل بني الحباب
وإن ليربوع من العز باذخا	بعيد السواقي خندقي المحارم
تحوط تميم من يحوط حماهم	ويحمي تميما من له ذاك يعرف
ألا إنما قيس نجوم مضيئة	يشق دجا الظلماء بالليل نورها
تعد لقيس من قديم فعالهم	بيوت أواسيها طوال دسورها
فوارس قيس يمنعون حماهم	وفيهم جبال العز صعب وعورها ^(٢)

ومن الذين أفاض في مدحهم الحجاج بن يوسف الثقفي وكان اتصاله به فاتحة
خير وزيادة شهرة ورفعة لجرير كما كان فاتحة قوة ، ونصر ، ودعاية للحجاج ، إذ
أقبل جرير على الحجاج إقبالا كاملا ، ينشده القصائد المختلفة في مدحه ، والإشادة
بذكره ، والرفع من قدره ، وتفسير سائر أعماله ، وسيرته ، بروح المحب له ،
المتفاني في وده .. فهو - عنده - الأمير العظيم ، ذو العقاب المر ، والعقد الوثيق :
ومن يأمن الحجاج أما عقابه فمر وأما عقده فوثيق^(٣)

ومدح أيضا عبد الملك بن مروان الذي أدرك قوته ومدى غضب الخليفة عليه من أبيات قالها في مدح الحجاج ،
من مثل:

١- العبد المذنب

٢- العبد المذنب

٣- العبد المذنب

من سد مطلع النفاق عليكم أم من يصول كصوله الحجاج
 أم من يغار على النساء حفيظة إذ لا يثقن بغيره الأزواج
 وإزاء كل ما تقدم كان على جرير أن يعمل على تحقيق طموحه بكل حذر ..
 وأن يوازن بين كل تلك المواقف ، لتكون النتائج مطابقة لطموحه ، ومحققه لآماله
 ورغباته .. وكذلك فعل جرير ، فلم يهمل ذكر الخليفة في مدحه للحجاج ، كما لم
 يكثر من الإشارة إليه . فبالرغم من أنه مدح الحجاج بخمس قصائد اشتملت على
 مائة وثلاثين بيتا - كانت الأبيات التي وردت فيها الإشارة إلى الخليفة لا تتعدى
 خمسة أبيات فقط منها :

إذا سحر الخليفة نار حرب رأى الحجاج أثقبها شهابا
 ترى نصر الإمام عليك حقا إذا لبسوا بدينهم ارتيابا
 ولولا أمير المؤمنين وأنه إمام وعدل للبرية فاصل
 خليفة عدل ثبت الله ملكه على راسيات لم تزلها الزلازل

وأعجب عبد الملك بجرير إعجابا شديدا فأعطاه مائة من الإبل وثمانية من
 الرعاة ومحلبا من فضة . وجرير في هذه القصيدة ليس مادحا فحسب ، بل هو محام
 عن عبد الملك وحكمه ، يدافع عن حقه في الخلافة ، ويهاجم خصومه هجوما عنيفا
 ، وقد مضى بقية حياته يقرر في مدائحه لعبد الملك ومن خلفوه حقهم في الخلافة
 على الناس ، وهو من هذه الناحية يعد شاعرا سياسيا بالمعنى التام ، شاعرا يحامي
 عن نظرية الأمويين في الحكم ويناضل عنهم وما يزال يسدد سهامه إلى خصومهم ،
 وهو في تضاعيف ذلك يحفهم بإطار رائع من التقوى والعمل الصالح ، مقررًا أن
 شيعتهم على الحق ، وأن من يخالفهم من الشيع أهل باطل وضلال وأهواء وبدع ،
 يقول في عبد الملك :

لولا الخليفة والقرآن نقرؤه ما قام للناس أحكام ولا جمع
 أنت الأمين أمين الله لا سرف فيما وليت ولا هيابة ورع
 أنت المبارك يهدي الله شيعته إذا تفرقت الأهواء والشيع
 فكل أمر على يمن أمرت به فينا مطاع ومهما قلت مستمع
 يا آل مروان إن الله فضلكم فضلا عظيما على من دينه البدع^(١)

ومدح جرير بجانب الخلفاء كثيرا من أبنائهم ، فهو يمدح مسلمة بن عبد الملك وعبد
 العزيز بن الوليد وأخاه العباس وأيوب بن سليمان ومعوية بن هشام ودائما ينوه بالأسرة
 وأن الله اختارها للأمة ، فإذا قلنا بعد ذلك إنه عاش منذ عرف عبد الملك داعية للأمويين لم
 نكن مبالغين ، وليس له في سواهم إلا مدائح قليلة فقد مدح الحجاج وصهره الحكم بن أيوب
 كما قدمنا ، ومدح خالد القسري مستشفعا للفرزدق كي يطلقه ، ومدح بعض أشرف قيس
 وتميم^(٢) .

وأمويات جرير بما فطر عليه قائلها من لين وتواضع وضراعة أقرب إلي مواصفات
 المديح التقليدي القائم على المبالغة في تعظيم الممدوح والتنويه بمآثره ومآثر آبائه ، كما
 أنها في محاولة إسباغ الفضائل الدينية على خلفاء بني أمية تتضح بروح سياسية تذكرنا

.. è ò @# ò è ..

.. è ò í ..

بما كان يقوله شعراء المذاهب والفرق في الانتصار لأنتمهم ، والاحتجاج لمذاهبهم . تأمل كيف يصير الوليد بن عبد الملك على قلمه خليفة لرب العالمين، عارفاً بالحق، منصوراً بالهداية والتقوى :

أنتنالك البشرى فقرت عيوننا ودارت على أهل النفاق المخاوف
فأنت لرب العالمين خليفة ولي لعهد الله ، بالحق عارف
عداك الذي يهدي الخلائف للتقى وأعطيت نصراً لم تتله الخلائف

وجريراً بهذا ليس مداحاً فحسب ؛ بل هو مدافع عن الأمويين وحكمهم ينافح عن حقهم في الخلافة ؛ ويهاجم خصومهم مهاجمة عنيفة ، فهو من هذه الزاوية شاعر سياسي واضح النهج والأداة ، شاعر سياسي لأنه في تجسيده نموذج الحاكم الأموي المسلم لم يكن ينطق من اقتناع ذاتي خالص ، كذلك الذي كان ينطلق منه ابن قيس الرقيات في دعوته للزبيريين ، أو ذلك الذي كان ينطلق منه الكمييت في تشييعه للهاشميين ، بل كان في كل حالاته صاحب قلم رأي الريح تهب أموية فسار معها ، وكان صاحب مصلحة رأي الأمويين حريصين على أن يشاد بفضلهم في مواجهة خصومهم السياسيين ، ورأي حجم أعطياتهم يقاس بحجم تبرير الشعراء في هذا الجانب ، فلم يجد مانعاً أن يمضى فيه سواء ، وأن يغلو في هذا الجانب بقدر ما شاء له مزاجه الرخي الضارع .^(١)

فن الهجاء :

يري د . شوقي ضيف أن جريراً قد بدأ هجاءه بأبيات منها هذا البيت
وليست لسيفي في العظام بقية وللسيف أشوى وقعة من لسانيا
وهو استهلال لحياته الأدبية ، يدل على أنه مقتحم بها فن الهجاء وقد ظل يجول ويصول في هذا الفن منذ خلافة يزيد إلي وفاته ١١٤ هـ إذ توفي بعد الفرزدق بنحو ستة أشهر^(٢)

أ- منهج جريير في هجائه

وعموماً فإن طريقة جريير في الهجاء ، جمعت إلي أساليب خصومه ، أسلوبه الخاص القائم على شدة اللذع ، واللائام، وتتبع حياة المهجو، وحياته ذويه، وتعداد نقائصه ، والكشف عن عوراته واحدة فواحدة ، ذاكراً تفاصيلها ، مبيناً كل ما من شأنه أن يحمل المهجو موضع احتقار الناس . وكان يكثر من تعداد النقائص الشخصية ، والقومية الماضية ، والحاضرة ، ويختلق الحوادث والقصص ، ويكثر من التكرار ، ليثبت ما يقول في الأذهان ، ويبالغ في الزراية والتحقير ، والتشبيه بالحقير القذر من الحيوانات ؛ زائداً في القبائح ما تفيض به قريحته ، ممزقاً أعراض الأمهات والأخوات أشنع تمزيق ، مما يلذع أشد اللذع ، وهو يزيد على ذلك كله بالتهكم والسخرية ، فيجعل المهجو من المضحكات ، ويصوره تصويراً (كاريكاتورياً) يبعث على الضحك ، وهذا مما يزيد كلامه لذعاً وإيلاً ، ويجذب الناس إليه ويصرف المتفرجين عن خصمه ، ويخفف من يهاجمونه ، ويجعلهم يتصورون ، ويمتقعونهم .

é è ï éñ

"è ï Õ éñ